

كان يوم الإثنين ١٩ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠١٨، بالنسبة إلى جوزيف ر.، كما ستتمّ الإشارة إليه في الصحافة الفرنسية لاحقاً، يومَ عملٍ غير اعتيادي، تماماً كما في كلّ مرّة يحضر فيها السيّد غصن إلى اليابان في إحدى زيارته الدورية.

فخبير المعلوماتية هذا مكلفٌ منذ سبعة عشر عاماً بتقديم «الدعم الفنيّ للرئيس». وبما أنّه الوحيد في التحالف الذي يتقاضى راتباً من نيسان ورينو وميتسوبيشي فعليه أن يحرص، في يوكوهاما كما في بيانكور، وأيضاً في طوكيو وباريس وبيروت وأمستردام، على أنّ المنظومة المعلوماتية الموضوعة في تصرّف رئيس التحالف تعمل من دون أخطاء، وأنها آمنة تماماً.

حضر جوزيف ر. إلى مكتبه في مقرّ نيسان في يوكوهاما، منذ الصباح الباكر، وكان مكتبه كناية عن مكتب ومستودع للمعدّات المعلوماتية، وذلك لجلب الأجهزة التي سيحتاجها خلال زيارة الرئيس. «تلقيتُ بريداً إلكترونيّاً من كريستينا موراي (Christina Murray): هاري نادا (Hari Nada) يطلب مقابلتك بعد ظهر هذا

اليوم، في الساعة الرابعة والنصف أو الخامسة على أبعد تقدير). هذه الرسالة من المرأة الأميركيّة، المسؤولة عن التدقيق الداخلي والامتثال في نيسان، فاجأت متلقّيها. فهي من خارج التسلسل الهرمي الذي يتبع له جوزيف ر.، كما أنّها لا تتبع هاري نادا، المسؤول حينها عن «مكتب المدير التنفيذي»، الذي كان مندرجًا في الهيكل التنظيمي الأفقي الذي يحيط بالمدير العام.

وفي وقت لاحق من ذلك الصباح، تلقّى خبير المعلوماتية بريدًا إلكترونيًا من مايا، أصغر بنات كارلوس غصن الثلاثة، تقول فيه إنّ الإنترنت معطل في المنزل، أي في شقّة العمل التي وضعتها نيسان منذ زمن بعيد تحت تصرّف الرئيس المدير العام في أحد أبراج حيّ أزابو (Azabu) الذي يُطلق عليه أبناء طوكيو اسم حبة الفطر، مع العلم أنّ مايا تعيش في الولايات المتحدة، ولكنها حاليًا تزور طوكيو. «لقد سبق لي أن مررت يوم الجمعة الفائت إلى مكتبي، ولكنني لم أتحقّق من الإنترنت المخصّص للضيوف. وبالتالي، عدت واكتشفت أنّ الراوتر لا يعمل. لا بدّ من استبداله. فأخبرت أوهنوما (Ohnuma) بالأمر، وهو رئيسي المباشر». توشياكي أوهنوما (Toshiaki Ohnuma) مسؤول عن أمانة سرّ نيسان منذ العام ٢٠١٢، ويشغل منصب نائب الرئيس. ويذكر جوزيف ر. أنّ «هذا الجهاز مخصّص للاستعمال الخاص، وبالتالي سوف يُسجّل على حساب مصاريف كارلوس غصن الخاصة».

هذه المشكلة الفنيّة أضعفت وقته. وبالتالي، أصبح من الصعب عليه أن يعود إلى يوكوهاما في الساعة التي حدّدها نادا، فبعث برسالة إلى كريستينا موراي: يقول فيها «لن أمكّن من الحضور إلى الموعد عند الساعة الرابعة والنصف. نلتقي مجددًا يوم الأربعاء». كان على خبير المعلوماتية جوزيف ر. أن يمضي يوم الثلاثاء في العشرين من الشهر بأكمله في مقرّ ميتسوبيشي موتورز (Mitsubishi Motors) مع كارلوس غصن الذي يتّراس مجلس الإدارة بعد أن أشرف على تشكيله وإنعاشه. ولكنّ الجواب وصله

فوراً: «لا بدّ أن تقابل هاري نادا هذا المساء». فأجاب أنّ ذلك ممكنٌ، ولكن ليس قبل الساعة الخامسة. وأتاه الجواب: «حسنًا. ابذل ما في وسعك حتى لا تتأخر عن الموعد».

وبالفعل، وصلَ جوزيف ر. إلى يوكوهاما في الساعة الرابعة والنصف. قرابة الساعة الرابعة والخمس والأربعين دقيقة بالتحديد، يُفْتَح باب المكتب بعنف ويدخل رجل مسنّ يبدو عليه الذعر بوضوح. إنّه سائق كارلوس غصن المعتاد الذي تجمعه بجوزيف ر. الذي يجيد اللغة اليابانية بإتقان، علاقة صداقة. وكانت الكلمة الوحيدة التي تلفظ بها الرجل هي ياباي، ياباي (*Yabai, yabai*)، وهي عبارة مألوّفة جدًّا، يمكن ترجمتها إلى اللغة العربية بعبارة «الله يستر»، وسرعان ما غادر.

يقول جوزيف ر. كنت أستلم من سائق كارلوس غصن عندما يصل إلى طوكيو، كل أجهزة الآي باد التي كان يستعملها في تنقلاته. فقررت أن أصعد إلى الطابق الحادي والعشرين لكي استحصل على الأجهزة التي ينبغي أن تكون قد وضعت في مكتب الرئيس. وما إن رأنتي مساعدة كارلوس غصن الشخصية فوميكو أدخل إلى غرفة الانتظار التي تؤدّي إلى المكتب الرئاسي حتى ارتعدت خوفًا وسألنتني: «ماذا تفعل هنا؟ ألم يتوجّب عليك أن تقابل هاري نادا؟» وأضافت بإصرار: «عليك أن تقابل هاري نادا. فعجبت كيف علّمت بذلك وبأيّ صفة؟ وقلت حسنًا، لكنّ اللقاء مقرّر عند الساعة الخامسة».

الرجال المتشحون سوادًا في مقرّ نيسان

في تمام الساعة الخامسة، وعندما توجّه جوزيف ر. إلى مكتب هاري نادا ليخبر مساعده أنّه وصل في الوقت المحدّد إلى الطابق الواحد والعشرين في مقرّ شركة نيسان رأى مشهدًا مخيفًا. فقد اجتاحت المكان هذا، الذي يخضع الدخول إليه دائمًا لمراقبة صارمة، مجموعة

من النساء والرجال بدوا نسبياً في مقتبل العمر وهم يرتدون ثياباً سوداء. ويتذكّر أنّ «حالة غليان عجيبة، ناجمة عن تواجد هؤلاء الأعراب جميعاً، قد سادت في الأروقة».

ثمّ اقتيد جوزيف ر. إلى قاعة الاجتماعات التي عادةً ما كان يستخدمها هيروتو سايكاوا المدير التنفيذي الياباني الذي كان لكارلوس غصن الفضل في وضعه على رأس شركة نيسان في العام ٢٠١٦. وفجأة «دخل ثلاثة أشخاص استطعت أن أميّز منهم هاري نادا وبرفقته امرأة عرفت فيما بعد أنّها كريستينا موراي ورئيس الأمن روي كامبي (Ruy Kamei)».

وما إن دخل هاري نادا الغرفة حتى طلب على الفور من جوزيف ر. تسليمه هاتفه الخاص. «وعندما سألته ما الذي يحصل؟» تظاهر بالدهشة، ثم قال «تمّ إلقاء القبض على رئيسك. ارتكب أموراً خطيرةً ويجدر بك أن تساعدنا في التحقيقات. ستصحبك السلطات الآن وينبغي عليك أن تنفّذ ما تطلبه منك». بعدئذ تمّ اصطحابه إلى غرفة أخرى على بابها أحد حراس الأمن الشخصيين الذين وظّفهم نيسان.

وفي الوقت نفسه تقريباً، ولكن بطريقة أخرى، اكتشف كبار المديرين في شركة صناعة السيارات اليابانية الخبر الذي سيتردّد صده في أنحاء العالم.

انعقدت منذ العصر لجنة العمليات في نيسان في مقرّ يوكوهاما. فقد تشكّلت هيئة موسّعة شملت الأعضاء الأساسيين في لجنة الشركة التنفيذية، وهم: المدير التنفيذي هيروتو سايكاوا و«الزعماء» الأربعة المسؤولين عن الوظائف الأساسية (أي الأداء والتخطيط والتنافسية والمالية).

ويذكر نائب مدير قطاع الأداء العالمي خوسيه مونوز الذي يشغل في الوقت عينه منصب رئيس شركة نيسان أميركا الشمالية التي حققت مبيعات قياسية بفضلها في العامين ٢٠١٦ و٢٠١٧ «أنّ

الساعة كانت قرابة الرابعة والنصف من بعد الظهر عندما طلب سايكاوا فضَّ الجلسة وانضمام أعضاء اللجنة التنفيذية إليه في مكتبه».

وأضاف: «لم تكن الأجواء السائدة في اجتماع لجنة العمليات جيّدة، بل كانت متوتّرة جدًّا. واستوقفني أمرٌ آخر حينها. فقد كان أرون باجاج (Arun Bajaj) مدير الموارد البشرية في نيسان جالسًا قبّالتي. ولكنّه اختفى، في أثناء استراحةٍ وربّما حتى قبل أن يستدعينا سايكاوا إلى مكتبه. ولم أره بتاتًا حتى يومنا هذا. وعرفنا في وقت لاحقٍ أنّ هاري نادا قد "منح" باجاج "إجازة" بشكلٍ مفاجئ».

مفاجأة هيروتو سايكاوا

«عندما اجتمع أعضاء اللجنة التنفيذية في مكتب سايكاوا أعلن الأخير أمامنا أنّه قد أُلقي القبض على كارلوس غصن، وكأنّها مفاجأة تامّة بالنسبة إليه، مؤكّدًا: "لا نعرف السبب، نحن لا نفهم ما الذي يحصل". عند عودتنا إلى الاجتماع، أصبح من المستحيل أن نتناقش في أيّ موضوعٍ آخر. أصبح الجو أكثر توتّرًا. عندئذ، بحثتُ عن أرون لكي أستشيريه. ولكنّه كان قد اختفى». يتذكّر خوسيه مونوز أنّ أرون باجاج طرح عليه، قبل هذه الأحداث ببضعة أشهر، سؤالًا يسترجعه اليوم: «هل تثق بهاري نادا؟»

قيل الساعة الرابعة، من يوم الإثنين الواقع فيه ١٩ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠١٨، حطّت الطائرة الخاصة غلف ستريم جي ٦٥٠ (Gulfstream G650)، المسجّلة تحت اسم N155AN، التي يجوز أن نقرأها بالأحرف الأجنبية نيسان (NISSAN)، في مطار هانيدا الدولي الذي تُطلّ مدارجه على خليج طوكيو. على متنها كارلوس غصن، رئيس مجلس إدارة نيسان وشركة ميتسوبيشي موتورز،

والرئيس المدير العام لمجموعة رينو، ورئيس تحالف رينو-نيسان-ميتسوبيشي، الأوّل عالمياً (من حيث الحجم) في صناعة السيارات منذ العام الماضي. هذه الطائرة، التي بمقدورها أن تحلق من دون توقف لأكثر من ثلاثة عشر ألف كيلومتر، تستوعب تسعة عشر راكباً جالساً، أو ما يقارب العشرة في وضعية الاستلقاء. إلا أنّ كارلوس غصن غالباً ما كان يشغلها وحده، كما لو أنّه امتداد لمنزله ومكاتبه حول العالم. يروي كارلوس غصن قائلاً: «كنت في بيروت وأتيتُ لكي أعمل أسبوعاً في طوكيو. كان جدول الأعمال حافلاً لا يقتصر على اجتماع مجلس إدارة نيسان فحسب. كنتُ بمفردي على الطائرة. ما إن خرجت، كان قد حضر، كالعادة، شخصٌ مرافقتي من أسفل سلّم الطائرة. كانت شابة تعمل لدى خدمة استقبال الرحلات الخاصة وتُعنى بالمعاملات الإدارية. توجّهتُ نحو مبنى الركاب وتقدّمتُ إلى جهاز مراقبة الحدود. وهذا أمر روتيني».

إخراجٌ مسرحي في هانيدا

دخلت إلى اليابان وخرجت منها آلاف المرّات من غير أيّ مشكلة، لكنني فوجئت اليوم ببعض الشيء. عندما قدّمتُ جواز سفري إلى المسؤول إذ قال: «آه، ثمّة خطب ما». «ثمّة خطب في جواز سفرك. انتظر لحظة»، ثم توجّه إلى مكتب يقع في الخلف. وبدأ عند عودته يتظاهر بأنّه ينقُر لوحة مفاتيح حاسوبه. بعد ذلك غادر. ثم عاد من جديد وقال لي، بالإنكليزية: «لدينا مشكلة صغيرة. هلّا رافقتني، رجاءً؟» تبعته إلى صالة مجاورة. فلاحظتُ وجود شخص آخر، يجلس في الغرفة ويُرَاقب المشهد. استمرّ المسؤولون في تفحص جواز سفري. وبعد لحظات، وقف الرجل وتوجّه نحوي، ثمّ عرّف عن نفسه، باللغة الإنكليزية. قائلاً «اسمي يوشيتاكا سيكي (Yoshitaka Seki)، من مكتب المدعي العام في طوكيو. تفضّل معنا رجاءً».

«سألته: "ما الذي يحصل؟" أجابني: "تفضّل معنا. سوف نشرح لك الموضوع". قلتُ له إنّ ابنتي مايا قد أتت من الولايات المتحدة لكي تزورني. "سوف تقلق بسبب تأخري. أريد أن أتصل بها. - لا، لا يمكنك أن تستعمل هاتفك". عندئذ، بدأتُ أدرك أنّ المسألة جدّية. كان يحيط بي أربعة أو خمسة أشخاص، وقاموا بإلقاء القبض عليّ».

في حين أنّ القضية السياسية والقضائية التي بدأت هي استثنائية وسوف تصدم العالم برمّته، إلّا أنّ المشهد هذا مُبتدّل، ولاسيّما بالنسبة إلى مكتب المدّعي العام في طوكيو الذي لجأ إلى تلاعب سوف تظهر صورته حول العالم. في ذلك الليل الذي خيم على مدرج هانيدا، صوّرت من بعيد عدسات كاميرا هيئة بث أساهي (TV Asahi)، القناة التي يملكها الرجل الثاني في عالم الصحافة اليومية اليابانية، المحقّقين. جميعهم في عمر الشباب، جميعهم يرتدون الزيّ الأسود نفسه، فيما يرتقون سلّم طائرة غلف ستريم. ثم أُسدلت ستائر نوافذ المقصورة التي كانت لا تزال مُضاءة. لقد خيّمَت سحابة سوداء على المسار المهني الناصع لأحد عمالقة الصناعة العالمية.

لا بدّ من انتظار إنكار كارلوس غصن الشخصي الذي وجهه إلى زوجته كارول، إثر إخلاء السبيل المشروط الأوّل في ٦ آذار/مارس ٢٠١٩، حتى تتبدّد خرافة الاعتقال على متن الطائرة. ولكنّ الصور ما زالت في الأذهان وهذا هو المهم. فالجميع يعرف أنّه، في بلاد مسرح الكابوكي (kabuki)، يعتبر الإخراج المسرحي جزءًا لا يتجزأ من أسلحة المدّعي العام.

هي النسخة اليابانية عن سياسة مشية العار (*perp walk*) عندما يتمّ تكبير الشخص بالأصفاة واستعراضه أمام العامة، وهي سياسة تمارسها الشرطة في الولايات المتحدة، اكتشفها الجمهور الفرنسي بدهشة إثر إلقاء القبض على المدير العام لصندوق النقد الدولي، دومينيك ستراوس-كان (Dominique Strauss-Kahn)، في

نيويورك، في أيار/ مايو ٢٠١١. فجميع المسائل الحساسة، من فساد، وفضائح سياسية أو أخلاقية، وإفلاس مصرفي، يتم التعامل معها في اليابان من خلال تفتيش يبدأ في ساعات الفجر الأولى أمام عدسات القنوات التلفزيونية التي يتم استدعاؤها وفقاً للأصول وتشارك باهتمام في هذه اللعبة. وبعد مهلة بضع ساعات تُعدّ كافية، تقوم العدسات نفسها بتصوير خروج مندوبي مكتب المدعي العام، حاملين عشرات صناديق الكرتون إلى شاحنات صغيرة دورها هامشي. وغالباً ما تكون هذه الصناديق فارغة. هو إخراجٌ مسرحي كابوكي صرف. خلال يوم التاسع عشر من شهر تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠١٨ ذاك، أظهر هيروتو سايكاوا سمات ممثلٍ من الطراز الأوّل لم يكن يدركها فيه زملاؤه في نيسان ولا «حلفاؤه» في رينو. كان يوم الإثنين ذاك يوماً مهماً بالنسبة إلى الصداقة الفرنسية اليابانية والتعاون بين أوساط الأعمال التجارية في البلدين.

يوم مهمّ للتعاون الفرنسي الياباني

اختارت هيئة باريس أوروبلاس (Paris Europlace)، المكلفة تعزيز المكانة المالية للعاصمة الفرنسية، ذلك التاريخ لعقد اجتماعها السنوي في طوكيو. وقد سافر حاكم البنك المركزي الفرنسي، فرانسوا فيلوروا دو غالاو (François Villeroy de Gahlau)، خصيصاً ليحضر الاجتماع. فما لبث أن وجد هناك أحد كبار مخضرمي إدارة الخزينة، لويس شفايتزر، الرئيس الشرف في رينو، الذي أتى للاحتفال بمئوية غرفة التجارة والصناعة الفرنسية في اليابان التي استضافت في ذلك اليوم، في صالة نيكي (Nikkei Hall)، فعالية سُمّيت «قمة الأعمال». أما ضيف الشرف فكان هيروتو سايكاوا الذي فاخر، تحت أنظار شفايتزر الحنونة، بمزايا التعاون الاقتصادي بين فرنسا واليابان وبالنجاحات التي حقّقها وكان تحالف رينو- نيسان-ميتسوبيشي يشكّل أحد أركانه. حتى أنّ الدولة الفرنسية

أوفدت وزيرة الدولة في وزارة الاقتصاد والمالية أنيس بانويه روناشيه (Agnès Pannier-Runacher).

كان من المزمع أن تلتقي نخبة المجتمع الراقي، عند العصر، في حدائق مقر إقامة سفير فرنسا، في قلب الحيّ الأنيق والمفعم بالخضار ميناتو-كو (Minato-ku). إلا أن خبر توقيف كارلوس غصن، الذي انتشر ابتداءً من الساعة الخامسة بعد الظهر عبر وكالات الأنباء اليابانية التي نقلت سبق صحيفة أساهي (*Asahi Shimbun*) الصحفي - (ولا عجب في ذلك!) - سوف يُفسد الاحتفال.

يخبر أحد الدبلوماسيين: «أصبح حفل الاستقبال سرياليًا، حيث باتت أنظار الجميع مسمّرة على شاشات هواتفهم المحمولة». حينها ظهر فيليب كلاين (Philippe Klein)، من قدامى رينو، المتواجد في اليابان منذ العام ١٩٩٩، مبعوثًا من هيتوشي كاواغوشي (Hitoshi Kawaguchi)، المسؤول عن العلاقات العامة في نيسان، ليشرح الوضع للدبلوماسيين الفرنسيين. «كان مقتضبًا للغاية. أخبرنا عمّن قام بالتبليغ عن المخالفات، وعن الدور الذي لعبه مدققو الشركة، وعن تحقيق داخلي، وعن القرار الذي اتّخذه المدعي العام في طوكيو بتوقيف كارلوس غصن».

تمّ الاتصال بأعوان رئيس الجمهورية الفرنسية، إيمانويل ماكرون (Emmanuel Macron)، الذي كان يشارك في قمة للاتحاد الأوروبي في بروكسيل، وبوكالة مشاركات الدولة (Agence des participations de l'État) التي تمثّل الدولة في مجلس إدارة رينو. لن يتمّ إصدار التأكيد الرسمي قبل الساعة الثامنة مساءً، مع تلقي وزارة العدل برقية من المدعي العام. «هذه هي الإجراءات المعتمدة، إذ يتمّ إبلاغنا بأن أحد الرعايا الفرنسيين قد أُلقي عليه القبض وهو موجود في مركز توقيف كوسوغه (Kosuge)». قرّر السفير لوران بيك (Laurent Pic) أن يُقدّم فورًا طلبًا بالحماية القنصلية باسم كارلوس غصن، فضلًا عن تطبيق حقّ الزيارة من غير تأخير.

كانت السفارة الفرنسية تواكب التطورات منذ مساء الإثنين
ذاك مع السفارة الأمريكية.

بالفعل، لم يكن كارلوس غصن الوحيد الذي وقع، يوم الإثنين
ذاك، في ١٩ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠١٨، في شرك المدّعي العام في
طوكيو. فقد تمّ توقيف غريغ كيللي (Greg Kelly)، وهو حقوقي
أميركيّ من مديري نيسان، عند وصوله إلى اليابان، لا عند نزوله من
الطائرة التي تقلّه من الولايات المتحدة، بل على الطريق السريع
الذي يربط ناريتا (Narita)، المطار الدولي الآخر في طوكيو الذي
يبعد مسافة ٧٠ كيلومترًا، بوسط العاصمة اليابانية.

غريغ كيللي في مصيدة فئران نيسان

إذا كانت زيارة كارلوس غصن مُقرّرة منذ فترة طويلة، وجدول
أعماله موضوعًا مسبقًا منذ أشهر، بالأحرى منذ سنوات، فإنّ غريغ
كيللي وقع في مصيدة فئران نصبها نيسان، وبالتحديد هاري نادا.
كيللي شبه متقاعد ويمضي وقته بين ولايتي تينيسي وفلوريدا
الأميركيتين، ولم يكن بحاجة مطلقًا إلى أن يتكبّد عناء السفر إلى
طوكيو ليحضر الاجتماع الوحيد لمجلس إدارة نيسان. فالاتّصال عن
طريق الفيديو كان ليكون كافيًا كما جرت العادة مرّات كثيرة في
السابق معه ومع غيره. وقد اعترض أطبّأؤه على رحلة مماثلة يقوم
بها، خصوصًا أنّها ستقع قبل فترة وجيزة جدًّا من تاريخ خضوعه
لعملية جراحية في العمود الفقري.

إلا أنّ «صديقه» هاري نادا أصرّ كثيرًا: حضور غريغ الشخصي
لا غنى عنه في هذا الاجتماع. سوف تضع نيسان إحدى طائرات
أعمالها في تصرّفه وسيعود إلى الولايات المتحدة قبل وقتٍ كافٍ من
إجراء العملية، يومَ ٧ كانون الأوّل/ديسمبر. يقول كارلوس غصن:
«هاري نادا كان بالفعل من رجال غريغ كيللي». عندما اعتزل كيللي
مهامه التشغيلية لدى نيسان في العام ٢٠١٥، طرّح اسم هاري نادا،

وهو محامٍ مثله في الأساس، ليدير مكتب المدير العام، أي «مكتب المدير التنفيذي».

يفيد كارلوس غصن، مؤكِّدًا: «اتَّصل غريغ بي في بيروت خلال عطلة نهاية الأسبوع، مُعلنًا أنه سيحضر اجتماع مجلس الإدارة. ولكنّه لم يُطلعني أبدًا على الجهود التي بذلها هاري نادا لكي يأتي به إلى طوكيو».

في عملية توقيف غريغ كيلى لم تكن مشاركة نيسان غير مباشرة، بل كانت مباشرة بكل وضوح. لم يكتفِ المتآمرون بتبليغ المدَّعي العام بساعة وصول الأميركيِّ. كان السائق الذي أرسلته نيسان ليستقبله يرتدي سماعةً تتيح التواصل معه على الدوام. في حين كانت الرحلة إلى طوكيو تستغرق وقتًا لا ينتهي في زحمة السير. تلقَّى السائق أمرًا بالتوقُّف في إحدى الاستراحات على الطريق السريع. هنا كان الرجالُ بالحلل السوداء ينتظرون غريغ كيلى. لا بدَّ من منع أي تواصل بين غصن وكيلى، وتحقيق ذلك دقيق للغاية. لا بدَّ أيضًا من تفادي السائقين، فهم يسمعون الكثير ويعرفون عن أمور جمَّة ويتكلَّمون في ما بينهم.

ساحة حرب في يوكوهاما

في يوكوهاما أيضًا، باشر الرجال (وبضع نساء) بالحلل السوداء، في العمل. لم يتوجَّب على جوزيف ر. أن ينتظر طويلًا في الغرفة المُحتجَز فيها. فسرعان ما اجتاحتها فريق المدَّعي العام. جَلَس آخر الواصلين إلى الغرفة مقابل خبير المعلوماتية. وحصل الحديث باللغة اليابانيَّة، بنبرة هادئة جدًّا: «نحن نعلم من أنت. لقد تحرَّينا ونعلم كلَّ شيء عنك. لا فائدة من إخفاء أي أمر عنَّا. أجب على أسئلتنا وسيكون كلَّ شيء على ما يرام». من زوَّدهم بمعلومات في تحرَّياتهم؟ قبل ذلك، كان جوزيف ر. قد تمكَّن من بعث رسالةٍ أخيرة إلى زوجته اليابانية: «مقرَّ نيسان يُشبه ساحة حرب»، إشارةً

إلى العنوان الأصلي لفيلم «عيد ميلاد مجيد في ساحة الحرب»
(*Furyo. Senjô no meri Kurisumasu*).

تمت مرافقة جوزيف ر. إلى الطابق الأسفل. «كان المكان مزدحمًا لأن مكتبي ضيق». يجب تحديد نوع الأجهزة كافة، أكانت جديدة أو مستعملة: مفاتيح يو إس بي، والحواسيب، والهواتف، واللويحات، والأقراص الصلبة. «لم يأخذوا شيئًا ولكنهم احتفظوا بهاتفني الشخصي، الذي سلمته في وقت سابق إلى هاري نادا، وختموا على كل شيء. لا يجوز إخراج أي شيء من المكتب». بعد ساعتين من الوقت، أُفِرَج عن خبير المعلوماتية. «أنت حرٌّ ولكن، لا يمكنك أن تتكلم مع أحد. أنت تحت المراقبة منذ هذه اللحظة. عليك أن تحضر إلى هنا غدًا صباحًا، في تمام الساعة الثامنة». ها قد ارتكب مدعو الفريق الخاص العامون أول انتهاك من سلسلة انتهاكات للإطار القانوني المرعي الإجراء نظاميًا في اليابان، وذلك عبر استباقيهم بخمس عشرة ساعة نتيجة التفتيش الرسمي الذي سيقومون به.

صعد جوزيف ر. فوراً إلى الطابق الحادي والعشرين ليرى مديره توشياكي أوهنوما. «أكد لي أنه لا يفهم ما الذي يحصل. ما استوقفني هو أنه كان يبدو هادئًا للغاية، يسير بسكينة حاملاً هاتفه المحمول، في هذه الأجواء السريالية. إذا كنت أنا محطّ شك، فكيف له هو، رئيسي وفقاً للتسلسل الهرمي، ألا يكون كذلك؟»

وهنا في هذا المكان المفتوح سينتظر خبير المعلوماتية بيان هيروتو سايكاوا الذي أُعلِن عن موعد الإدلاء به ثم تأجل عدّة مرّات. وأخيراً، عند الساعة العاشرة مساءً أدلى المدير العام في نيسان بكلمته أمام الجمهور.

انتظره حشدٌ غفير من الصحفيين والمصوّرين والمراسلين في صالة مجهولة، تخلو حتى من شعار نيسان. كان سايكاوا وحده على المنصة، يجلس وراء طاولة صغيرة. عدنا إلى الورااء عدة سنوات ضوئية، إلى ما قبل العروض التسويقية الشبيهة بالأفلام الأميركية التي أطلقها

كارلوس غصن في تشرين الأوّل/أكتوبر ١٩٩٩ مع الإعلان عن خطة إعادة إحياء نيسان. عندها استعادت نيسان العزيزة رونقها. رجع خوسيه مونوز إلى طوكيو، حيث ينتظره عشاء عمل، في مطعم مجاور لشقته، مع مدير مكتبه سيمون واليس (Simon Wallis). ولكن، تمّ تبليغ الكوادر الإدارية للشركة في جميع أنحاء العالم بالموّتمر الصحفي هذا، وتمّ تخصيص رابط يتيح لهم متابعتة مباشرةً.

سايكوا يشير بأصابع الاتّهام

يروى مونوز: «ما سمعته أصابني بصدمة. ظننتُ، بحسب ما قاله لأعضاء المجلس التنفيذي، أنّه لا يعلم لمّ تمّ توقيف كارلوس غصن. ولكنّه هنا كان يؤكّد أنّه يعلم تمامًا ما الذي حصل، لا بل حَكَمَ مسبقاً بإدانة رئيس مجلس الإدارة. كنتُ شخصياً أتوقّع ردّاً آخر، رد فعل طبيعياً يتمثل بتأكيد الشركة أنّها مستعدة للتعاون مع مكتب المدّعي العام، ولكنّها تقف بجانب رئيسها وتأمل أن تتضح الملابسات في أسرع وقت ممكن. على العكس، كان هو نفسه، على حد قول الأميركيين، يُلقي بمديره تحت عجلات الحافلة».

في مكتب أوهنوما، كان جوزيف ر. أيضاً مصعوقاً من هول المفاجأة. «كنتُ أعرف سايكوا. كان خطيباً مزريّاً. إلّا أنّه أظهر رباطة جأش غير معقولة». المؤتمر الصحفي الرتيب الذي عقده سايكوا والمتواجد على «يوتيوب»، مع ترجمة بالإنكليزية بصوت المترجمة الفورية الحاد، ليس عملاً مرعباً فحسب، بل يحدّد المسار الذي سنتنتجه نيسان في الأيام والأسابيع والأشهر القادمة. سيتمّ توريث كارلوس غصن، ونقل اتّهامات النائب العام بكل وقاحة وبنبرة مناقفة، مع رفض الإجابة على أيّ سؤال محدّد، أو إبداء أيّ تكذيب، أو الانخراط في أي مواجهة والاكتفاء بالاختباء وراء «التحقيق الجاري».

كان المؤتمر الصحفي نقطة انطلاق حملة تشهير لا ترحم، شنتها يوماً بعد يوم، عبر تسريب بعد تسريب، نيسان العزيزة مع أبواقها في العالم أجمع ومع محاميتها. يبدو أن لحظة الحقيقة قد حانت مع ثناء سايكاوا بالجاح على قيادات نيسان السالفة، بما فيها تلك التي سبقت كارلوس غصن، تلك التي سبقت وصول الفرنسيين، تلك التي قادت، في العام ١٩٩٩، ثاني أكبر شركة لصناعة السيارات في اليابان إلى شفير الإفلاس.

بالنسبة إلى خوسيه مونوز، يشكّل هذا الحديث تأكيد ما أسرّ به إلى ديبلماسي أميركي من أصدقائه، بعد أن اكتشف، في خلال العشاء، توقيف غريغ كيلبي: «هذه مكيدة مدبرة وكلّ ما حصل اليوم يُثبت ذلك».

«والأهم ألا تنسي هاتفك»

يوم ١٩ تشرين الثاني/نوفمبر ذاك، وصلت فريديريك لو غريف (Frédérique Le Grèves) إلى طوكيو في اللحظة نفسها تقريباً التي وصل فيها كارلوس غصن وغريغ كيلبي، ولكن على متن رحلة تجارية حطت في ناريتا. فهي بصفتها مديرة مكتب الرئيس المدير العام لرينو في بيانكور، تُدير، من جملة ما تديره، جدول أعمال حافلاً للغاية وتُشارك في تنقلات رئيس التحالف المهمّة. عند هبوطها على الأراضي اليابانية، نسيت أن تشغل هاتفها الخاص بالعمل. لم تكتشف أنّ جهازها قد انهال عليه وابلّ من الاتّصالات الهاتفية والرسائل النصّية ورسائل البريد الإلكتروني إلا عند وصولها إلى الفندق. ألقى القبض على كارلوس غصن.

الرسالة الأولى التي فتحتها كانت من فوميكو، مساعدة كارلوس غصن الشخصية في يوكوهاما. «السيد سايكاوا يريد أن يقابلِك فوراً». كانت الساعة حينها بين السادسة والسادسة والنصف مساءً. اتّصلت فريديريك لو غريف، فور انتهائها من الاستحمام، بمقرّ رينو،

في بيانكور. على الخط: منى سبهري (Mouna Sepehri). تُعتبر المحامية هذه ذات الأصول الإيرانية عنصرًا أساسيًا في الفريق المحيط بكارلوس غصن الذي عينها، في اللجنة التنفيذية لرينو، عضو مجلس الإدارة المنتدب للرئاسة، وهي حقيبة تضم الخدمات القانونية على غرار الأمانة العامة.

كان الحديث مقتضبًا. فلا يجوز تضييع الوقت. «إذا لم يقم قاضي أو شرطي باستدعائك، لا داعي للامتنال. لو كنت مكانك يا فريديريك لما بقيت في اليابان ولكنك استقلت أول طائرة إلى أوروبا». ما إن أنهت لو غريف الاتصال حتى رن الهاتف مجددًا. إنها فوميكو. كلامها دمت على غير عادة، ونبرتها عذبة تكاد تقطر عسلًا. «في أي فندق تمكثين؟ سوف نرسل إليك سيارة مع سائق». وأضافت مكثرة في الكلام: «والأهم ألا تنسي أن تحضري معك هاتفك وحاسوبك».

كانت فريديريك لو غريف سريعة البديهة فذكرت لها اسم فندق غير ذلك الذي تمكث فيه. أفضلت الحقيبة التي بالكاد فتحتها. وفرت في سيارة أجرة إلى هانيدا. أول رحلة تُغادر الأرخيل هي رحلة متجهة إلى فرانكفورت. جلست أقرب معاوي كارلوس غصن في مقعدها مع الهواتف والحاسوب التي تهم نيسان كثيرًا.

صباح يوم الإثنين ذاك، في ١٩ تشرين الثاني/نوفمبر، لم يكن تييري بولوري ينوي المرور بمكتبه، وهو نائب المدير العام في مجموعة رينو. كان سيوجه مباشرة إلى رواسي (Roissy) لكي يسافر إلى طوكيو حيث ينتظره اجتماع مجلس تحالف رينو-نيسان-ميتسوبيشي وكان من المفترض أن يلتقي بكارلوس غصن، وهو نائبه رسميًا منذ ١٩ شباط/فبراير الماضي. إلا أن اتصاليين هاتفيين سوف يقبلان هذا البرنامج رأسًا على عقب.

يأتي الأول من منى سبهري: «هل لديك خلفية عن الموضوع؟ هل تصفحت الإنترنت؟ لقد ألقوا القبض على السيّد غصن فور

وصوله إلى طوكيو». في فصل الشتاء، يختلف التوقيت بين اليابان وفرنسا ثماني ساعات. يتلقّى الاتصال الثاني من طوكيو. هاري نادا. «لا بدّ يا تييري أن تعرف أنّ حدثًا هامًّا قد طرأ. تمّ توقيف السيّد غصن». لكنّه يتظاهر بعدم معرفة الأسباب التي أدّت إلى وضع رئيس التحالف وراء القضبان. «أعلمُ أنّك في طريقك إلى المطار. نحن ننتظركَ في اليابان».

بسرعة كبيرة، قرّر تييري بولوري أن لا هدف من الاجتماعات المزمع إقامتها في يوكوهاما. لا بدّ من تحضير رينو لمواجهة الأزمة الكبيرة التي بدأت مع توقيف رئيسها. عادت السيارة التي كادت أن تصل إلى رواسي أدراجها. «عدتُ إلى منزلي لكي أرتدي لباس المواجهة، وغادرتُ فوراً إلى بيانكور. استدعينا فريق الإدارة إلى اجتماع طارئ. ولكن كان لا يزال هنا أيضاً عضوان أساسيان من المجلس: فيليب لاغاييت (Philippe Lagayette)، كبير المديرين، وباتريك توماس (Patrick Thomas)».

«فيليب كلاين»، المرسال الصغير

باستثناء ذلك الاتصال الهاتفي الغريب الذي أجراه هاري نادا مع تييري بولوري، لم يصدر أي شيء عن يوكوهاما. آه، تذكّرت، فيليب كلاين. في المساء نفسه، لم يتأخّر المرسال الذي كانت قد بعثته نيسان العريضة إلى سفارة فرنسا، في ركوب الطائرة التي غالباً ما تُقلع من مطار هانيدا قبل حظر التجول عند الساعة ١١,٥٠ مساءً، على متن الخطوط الجوية الفرنسية الرحلة رقم ٢٩٣ المعروفة جدًّا في أوساط رجال الأعمال لأنها تسمح لهم بالوصول إلى باريس قبل موعد الإفطار.

ويخبر «تييري بولوري أنّ فيليب قدم لزيارتنا، ولم أعرفه مع أنّني عملتُ معه لعدة أعوام. لم يعد الرجل نفسه. استهلّ حديثه بالقول إنّه لا يملك أي وثائق. وسرد القصة نفسها التي كانت وسائل

الإعلام قد بدأت بتداولها. هي نسخة شركة نيسان من غير زيادة ولا نقصان. لم نعرف أي شيء. ولا شيء بتاتاً. راودني شعور بأنه كُلف بهذه المهمة وبأنه كان يحاول إنقاذ نفسه. ولكن، بعد ذلك، لم تردنا أي معلومة أو تفسير. لا شيء». ويشدد تييري بولوري «أن الأمور ستبقى على حالها لأيامٍ، بل لأسابيع».

تمّ نقل المؤتمر الصحفي للمدير العام لنيسان على موقع الشركة اليابانية الإلكتروني المخصّص للاتصالات المؤسسية. «عندما شاهدنا فيديو سايكاوا، كان وقع الدهشة والصدمة كبيراً. صدمة عمّت العالم برمتها».

احتاج كارلوس غصن بضعة أيام حتى يبدأ باستيعاب ما حدث بالضبط. «بعد إلقاء القبض عليّ جعلني رجال المدعي العام أسلك طريقاً غير مألوف بتاتاً لمغادرة هانيدا. وتمّ اقتيادي على الفور إلى مكتب المدعي العام حيث تمّ تبليغي بالتهم الموجهة ضدي التي كانت مرتبطة بعدم الإفصاح المالي. وكانت تلك التهمة الوحيدة التي تمّ التطرّق إليها في ذلك المساء بالتحديد. وشملت الفترة الزمنية الممتدة ما بين الأعوام ٢٠٠٩ و٢٠١٤. ولم تدم تلك الجلسة إلا بضع دقائق. لا يمكنني التواصل مع أحد، لا المحامي، ولا أي فرد من أسرتي ولا أي زميل في الشركة اليابانية العملاقة التي أترأسها».

الليلة الأولى في السجن

ثم «تمّ نقلي مباشرةً إلى كوسوغه وتطبيق إجراءات الحبس المعتمدة على ما يبدو في اليابان. لا يمكن لأولئك الذين لم يختبروا لحظة مشابهة أن يتخيّلوا وحشية العملية والإذلال الذي يعيشه المرء في تلك اللحظة، ناهيك عن الصدمة وعدم الاستيعاب. كنتُ حرقياً مشلولاً من الخوف. من الواضح أنني لم أفهم شيئاً من هذا الاتهام. وهكذا بدأت ليلتي الأولى في السجن. كان وقع الصدمة عنيفاً ومؤذيّاً».

ولن تكون الصدمة أقل وطأة على مايا غصن، أصغر فتيات كارلوس غصن التي وصلت الليلة السابقة إلى اليابان. فكم رغبت في أن تعرّف حبيبها باتريك على المكان الذي تُطلق عليه هي وأختهاها كارولين (Caroline) ونادين (Nadine) وأخوها الصغير أنثوني (Anthony) «موطن الطفولة».

كانوا صغاراً جدًّا عندما وصلوا إلى اليابان في العام ١٩٩٩. لقد تلقوا تعليمهم هنا في المدارس الدولية إلى حين مغادرتهم للالتحاق بجامعة أميركيّة. يحتفظ جميع الأطفال الأجانب الذين نشأوا في اليابان بذكريات جميلة عن المكان الذي ترعرعوا فيه، وحتى عن طوكيو هذه المدينة الضخمة حيث يراودك شعورٌ بالألفة والوحشة في الوقت عينه. يعتريك في اليابان شعورٌ بالأمان مرادفٌ لحرية التنقل ذهاباً وإياباً، في كل ساعة من النهار، وأحياناً في الليل برعاية العين الساهرة للبالغين والمسنّين. ويتذكّر الكل لطف اليابانيين تجاه الأطفال، وعالم هالو كيتي (Hello Kitty) وهاياو ميازاكي (Hayao Miyazaki)، والأدوات الإلكترونيّة، والطبيعة التي تمكنت من اختراق هذا المحيط الخرساني الضخم بشكل غير معقول.

الطبخة القومية لسايكاوا الأمين

لعل حملة التشهير التي شنتها نيسان، نظراً للأسباب أعلاه، وصلت إلى الحضيض مع قيام هيروتو سايكاوا بالتشكيك في تعلق كارلوس غصن وعائلته باليابان، خلال مقابلة مع مجلة شوكان بونشون (*Shukan Bunshun*)، محاولاً أن يعد طبخة قومية كريهة. «أتساءل إذا كانت نيسان، بالنسبة إليه وإلى عائلته، مجرد أداة للتنعّم بأسلوب حياة مرفّه. أتساءل بجدّية إذا كان السيد غصن يمتلك أدنى ذرّة من الاحترام للشعب الياباني والمجتمع الياباني». وما كان من الأبناء الأربعة إلا أن ردّوا بأنّه «لمن أشدّ ضروب الخداع أن يقوم زميل، وصَحّ والدنا ثقته فيه منذ زمن، بالتشهير به عبر التأكيد، عكس كلّ الإثباتات، أنّه لا يحب اليابان ولا يحترمها».

بالفعل، هيروتو سايكاوا أظهر حماسة المهتدي حديثاً إلى ربّه. على الرغم من ذكائه، هو غير محبوب في الشركة بسبب مسيرته (يأتي من عالم المشتريات، وهو قطاع أساسي ولكنه لا يتمتع بالمكانة المرموقة التي تتحلّى بها الهندسة) وبسبب سلوكه التبجيلي تجاه كارلوس غصن لسنوات، لن يأتمنه المتآمرون، الحذرون كما يبدو، على أسرارهم إلا في مرحلة متأخرة جداً، في مطلع شهر تشرين الأوّل/أكتوبر ٢٠١٩. وسيتردّد حيال المسار الذي عليه أن يتّبعه. يتذكّر كارلوس غصن أنّه «طلب أن يحضّر، في تشرين الأوّل/أكتوبر، لمقابلتي في المغرب، وهو تصرّف لم أفهمه في ذلك الوقت. كنت أمضي بضعة أيام في البلاد، حيث استقبلني الملك، وقمتُ بزيارة مصنع رينو-داسيا (Renault-Dacia) في طنجة وتحدّثتُ مع الباعة عن العمليات في المغرب. فاتّصلت بي أمينة سرّي قائلةً: السيد سايكاوا في أوروبا ويرغب في مقابلتك. سوف يقوم بزيارة سريعة إلى المغرب ليراك. أحبّت أنّني سأكون في باريس قريباً لاجتماعات مقرّرة مسبقاً. إلا أنّها أصرّت. حضّر. تناقشنا في أمور متفرّقة؛ إلا أنّنا، لم نتطرّق إلى أيّ موضوع يبرّر هذه الزيارة. استغربتُ ولكنني لم أعر المسألة الكثير من الاهتمام. كان ذلك في شهر تشرين الأوّل/أكتوبر. نحن نعلم الآن، باعتراه، أنّه كان على اطلاع بما يحضّر في طوكيو. أعتقد أنّه حضّر ونيّته أن يفعل شيئاً أو يقول شيئاً، إلا أنّه عدل عن رأيه.»

تأخّر الطائفة

مايا وباتريك نزلا، قبل انطلاقيهما لاستكشاف الأربخيل، في شقة حي أزابو السكني، حيث خصّصت نيسان مسكناً لكارلوس غصن منذ زمن بعيد. ليس في شقة البنتهاوس (penthouse) في أعلى «حبة الفطر»، كما زعمت الصحافة اليابانية، بل في الشقة الصغيرة التي يشغلها منذ رحيل أبنائه.